

اسم المادة: الإيمان بالقدر

من سلسلة: العقيدة وتعزيز اليقين

لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: الإيمان بالقدر
من سلسلة: العقيدة وتعزيز اليقين
لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي خلق فسوى وقدّر فهدى وكان بعباده لطيفًا خبيرا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وخِيرته من خلقه وخليله، أرسله ربه بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرا، وصفه الله –عز وجل– في التوراة ببعض صفته في القرآن فقال: أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظٍ ولا غليظ ولا صخابٍ في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، فيفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا، أما بعد؛

فمرحبًا بكم إخواني وأخواتي وهذا لقاؤنا السادس بحمد الله –عز وجل–، وسنتناول أيضًا الركن السادس من أركان الإيمان بالله –عز وجل– ألا وهو الإيمان بالقدر.

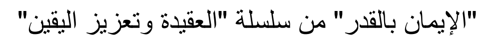
والقدر كما قال ابن عباس –رضي الله تعالى عنهما–: "القدر نظام التوحيد، فمن وحدَّ اللَّه وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحدَّ الله وكذَّب بالقدر نقض تكذيبُه توحيدَه" فلذلك هو كسائر الأركان الأخرى من أركان الإيمان الذي لا يؤمن بها لا يصح له إيمان، يبقى خلاص توحيده وإيمانه ذهب بالكلية، إذا لم يؤمن بالملائكة أو بالكتب أو بالرسل أو باليوم الآخر أو بالقدر خيره وشره ينقض كل هذا إيمان العبد بربه – سبحانه وتعالى–، والإمام ابن القيم يقول: "والإيمان به –أي بالقدر– قُطب رحى التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين المبين وتمامه، فهو أحد الأركان، وقاعدة أساس الإحسان التي يرجع إليها، ويدور في تصاريفه عليها".

وسُئِل الإمام الشافعي عن القدر فأجاب قائلًا:

مَا شِئْتَ كَانَ، وإنْ لم أشَأْ ... وَمَا شِئْتُ إن لَم تَشأْ لَم يكنْ
خَلَقْتَ العِبَادَ لِمَا قَدْ عَلِمْتَ ... فَفِي العِلْمِ يَجري الفَتَى وَالْمُسنّ
فَمِنْهُمْ شَقِي، ومِنْهُمْ سَعِيد ... ومنهم قَبِيح، وَمِنْهم حَسَن
عَلَى ذَا مَنَنْتَ، وَهَذا خَذَلْتَ ... وذاكَ أعنتَ، وذا لم تُعِن

وسئل الإمام أحمد عن القدر فقال: "القدر قدرة اللَّه" وهذه كلمة استحسنها الناس وتلقوها بالقبول عن الإمام أحمد –رحمه الله–.

فلا شك أن الإيمان بالقدر ركن عظيم وأدلته متوافرة في الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة؛ فمن الكتاب قوله –تعالى–: "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ" القمر:٤٩، وقوله –تعالى–: "وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ" سورة القمر٥٢:٥٣، وكذلك قوله –تعالى–: "وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا" الفرقان:٢، وقد ورد في حديث جبريل الطويل عندما سأل النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: "فأخْبِرْنِي عَنِ الإيمانِ، قالَ: أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ"[1]، وكذلك ما علَّمه النبي –صلى الله عليه وسلم– لابن عباس إذ قال: "يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسألِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ



[1] صحيح مسلم



فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، وإن اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ"[2].

الإيمان بالقدر:

ويشمل الإيمان بالقدر أمورًا هي:

الأمر الأول: الإيمان بأن الله عالمٌ بكل شيء جملةً وتفصيلًا، وأنه قد أحاط بكل شيء علمًا، وعلمه غير مسبوق بجهل ولا يعرض له نسيان، قال –تعالى–: "إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" الأنفال:٧٥، وقال: "لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا" الطلاق:١٢، وقال –سبحانه–: "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" الملك:١٤، هذا هو الأمر الأول: الإيمان بأن الله عَلِم بكل شيء جملةً وتفصيلا.

والأمر الثاني: أن الله كتب هذا –أي ما كان في علمه –سبحانه وتعالى– في اللوح المحفوظ، قال –تعالى–: "إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ" الحج: ٧٠، وقال –سبحانه وتعالى–: "وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ"، وقال: "مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ" الأنعام:٣٨، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ"[3] ورواه مسلم، وقال –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّ أوَّلَ ما خلقَ اللَّهُ القلمَ فقالَ لَهُ اكتُب فجرى بما هوَ كائنٌ إلى الأبدِ"[4] رواه الترمذي.

والأمر الثالث: الإيمان بأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله –تعالى–، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال –تعالى–: "وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ" القصص: ٦٨، قال –تعالى–: "وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ" إبراهيم:٢٧، وقال –سبحانه–: "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" آل عمران:٢٦.

والأمر الرابع: الإيمان بأن الله خالق كل شيء، فهو خالق الخلق وجميع أعمالهم، قال –تعالى–: "اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ" الزمر:٦٢، وقال –تعالى–:"وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ" الصافات:٩٦، وقال –سبحانه–: "وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا"، وقال –تعالى–: "هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ" فاطر:٣، وقال –تعالى–: "ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ" غافر:٦٢.

مراتب التقدير الإلهي

أما مراتب التقدير الإلهي فهي أربعة:

١–التقدير العام اللي بيُسمى بالتقدير الأزلي؛ وهو ما يقدره الله لجميع المخلوقات؛ قال –تعالى–: "عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ –أي لا يغيب– عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ" سبأ:٣، وقال –سبحانه–: "مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا –أي من قبل أن نوقعها، ونخلقها– إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ" الحديد:٢٢، والحديث الذي مر علينا "كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ".

---

[2] صحيح الترمذي

[3] صحيح مسلم

[4] صحيح الترمذي



٢–وهناك تقدير آخر هو مثل هذا التقدير وموافق له؛ وهو ما يسمى بالتقدير العمري: وهو ما يقدره الله –عز وجل– من رزق الإنسان، وعمله، وسعادته، وشقاوته، وأجله، كما في حديث ابن مسعود أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فيُؤْمَرُ بأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، ويُقَالُ له: اكْتُبْ عَمَلَهُ، ورِزْقَهُ، وأَجَلَهُ، وشَقِيٌّ أوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فيه الرُّوحُ، فإنَّ الرَّجُلَ مِنكُم لَيَعْمَلُ حتَّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَ الجَنَّةِ إلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عليه كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ النَّارِ، ويَعْمَلُ حتَّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَ النَّارِ إلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ"[٥] فهذا هو التقدير العمري للإنسان وهو يوافق ما قدَّره الله قبل خلق الخلق والسماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

٣–وهناك تقدير ثالث موافق لما سبق وهو التقدير السنوي؛ فيه تقدير بينزل وهو ما يقدره الله في ليلة القدر من كل عام؛ قال –تعالى–: "إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ" الدخان٣:٥.

٤–وهناك تقدير رابع وهو التقدير اليومي؛ وهو ما يقدره الله –عز وجل– ويجريه في كل يوم، "يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ" الرحمن:٢٩، من شأنه –سبحانه– أن يتوب على عاصٍ، وأن يطعم جائع، وأن يشفي مريض، وأن يفرج كربة مكروب، وأن يعلِّم جاهل، وأن يهدِ ضال، وهكذا كل يوم هو في شأن –سبحانه وتعالى–، ولا يَشغله –سبحانه– في ذلك شأن عن شأن، فتبارك الله رب العالمين، فكل هذه التقادير موافقة لبعضها سواء بسواء.

ونحن نود أن نقول بأنه لكي يستقيم الإنسان؛ لأن فيه ناس ضلت في باب القدر، ضلت ضلالًا بعيدًا حتى ربما خرجوا من ملة الإسلام، عياذًا بالله من ذلك، منهم أناس قالوا: إن الأمر أنفٌ وإن مفيش قدر، ربنا مقدَّرش القدر، وقد جاء رجل يسأل ابن عمر عن ذلك والحديث في صحيح مسلم قال: "فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يقولُ هَؤُلَاءِ في القَدَرِ، فَوُفِّقَ لنا عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ داخِلًا المَسْجِدَ، فاكْتَنَفْتُهُ أنا وصاحِبِي أحَدُنا عن يَمِينِهِ، والآخَرُ عن شِمالِهِ، فَظَنَنْتُ أنَّ صاحِبِي سَيَكِلُ الكَلامَ إلَيَّ، فَقُلتُ: أبا عبدِ الرَّحْمَنِ إنَّه قدْ ظَهَرَ قِبَلَنا ناسٌ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ، ويَتَقَفَّرُونَ العِلْمَ، وذَكَرَ مِن شَأْنِهِمْ، وأنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أنْ لا قَدَرَ، وأنَّ الأمْرَ أُنُفٌ، قالَ: فإذا لَقِيتَ أُولَئِكَ فأخْبِرْهُمْ أنِّي بَرِيءٌ منهمْ، وأنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، والذي يَحْلِفُ به عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ لو أنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فأنْفَقَهُ ما قَبِلَ اللَّهُ منه حتَّى يُؤْمِنَ بالقَدَرِ–خيره وشره–."[٦]

وهناك ناس قالوا: لا ده الإنسان مُكره على كل شيء ومجبور، ويتمثلون بقول القائل:

ألقاه في اليم مكتوفًا ثم قال: إياك إياك أن تبتل بالماء

وهذا في طياته وصف الرب –سبحانه وتعالى– بالظلم عياذًا بالله من هذا.

امال هو المكره مرفوع عنه الحرج ليه؟ لأنه بغير اختياره وبغير حريته، ما كان من علم الله هذا لا يعلمه العباد إلا ما أعلم الله نفرًا من خلقه من مَلك أو رسول أو كذا، أما الأصل فإن العباد لا يعلمون التقدير إلا بعد أن ينزل بهم، فهؤلاء ضلوا وهؤلاء ضلوا، والحق بينهما سواء.

فعشان نمشي في هذا الركن وهذا الاعتقاد سيرًا طيبا كما سار الصحابة، الصحابة لم يُعرف عنهم اختلاف في مسائل القدر، ربما مرة وحيدة "خرج النبي –صلى الله عليه وسلم– وهم يتنازعون في القدر، هذا يأخذ آية وهذا يأخذ آية، فكأنما فقئ في وجه النبي حب الرمان –احمرَّ من الغضب– وقال: أبهذا أمرتم؟ بهذا هلك من كان قبلكم، عزمت عليكم ألا تعودوا"[٧] فلم يعد إليها الصحابة.

حادثة تانية في طاعون عمواس في خلافة عمر، لما عمر كان ذاهب إلى المدينة ووقع إلى الشام أثناء فتح بيت المقدس، وحصل طاعون مات فيه كثير من الصحابة والتابعين، فاستشار عمر الناس يدخل الشام ولا لأ، فاختلفوا حتى جاء عبد الرحمن بن عوف وأخبر عمر بأن النبي –

[٥] صحيح البخاري
[٦] صحيح مسلم
[٧] بعض روايات الحديث هنـــا



صلى الله عليه وسلم- أمرنا إذا كان الطاعون في بلد ألا ندخله، وإذا وقع الطاعون ونحن في بلد ألا نخرج منه، اللي هو مسألة الحجر الصحي التي تفعلها الدول الآن حفاظًا من انتشار الطواعين والأمراض، وحصل إن أبو عبيدة أمير الجيوش -رضي الله تعالى عنه- أحد العشرة، قال لعمر لما عزم على الرجوع قبل ما عبد الرحمن بن عوف يخبرهم هذا الحديث، قال: يا أمير المؤمنين أفِرَارًا مِن قَدَرِ اللَّهِ؟! فَقَالَ عُمَرُ: لو غَيْرُكَ قَالَهَا يا أبَا عُبَيْدَةَ؟! نَعَمْ نَفِرُّ مِن قَدَرِ اللَّهِ إلى قَدَرِ اللَّهِ، أرَأَيْتَ لو كانَ لكَ إبِلٌ هَبَطَتْ وادِيًا له عُدْوَتَانِ -يعني في وادي وفي وادي- إحْدَاهُما خَصِبَةٌ، والأُخْرَى جَدْبَةٌ -مفيش فيها مرعى- أليس إنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بقَدَرِ اللَّهِ، وإنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بقَدَرِ اللَّهِ؟"[8].

المهم أن الصحابة -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم- ما كانوا أبدًا يختلفون في أمور الاعتقاد، هي مدرسة القول الواحد في العقيدة، الصحابة -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم-، لكن في القدر لم يعرف عنهم خلاف، إنما جاء الخلاف ممن ضل في هذا الأمر بعدهم، ولذلك كان في رواية للإمام أحمد في مسنده عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، قال حدثني أبي -اللي هو الوليد بن عبادة- قال: "دَخَلتُ على عُبادةَ، وهو مَريضٌ أتخايَلُ فيه الموتَ -يعني شكله كده بيحتضر- فقُلْتُ: يا أبتاه، أَوصِني واجتهِدْ لي، فقال: أجلِسوني، فلمَّا أجلَسوه قال: يا بُنَيَّ، إنَّكَ لنْ تَطعَمَ طَعمَ الإيمانِ، ولنْ تَبلُغَ حَقَّ حَقيقةِ العِلمِ باللهِ حتى تُؤمِنَ بالقَدَرِ خَيرِه وشَرِّه، قال: قُلْتُ: يا أبتاه، وكيف لي أنْ أعلَمَ ما خَيرُ القَدَرِ مِن شَرِّه؟ قال: تَعلَمُ أنَّ ما أخطأَكَ لم يَكُنْ لِيُصيبُكَ، وما أصابَكَ لم يَكُنْ لِيُخطِئُكَ، يا بُنَيَّ، إنِّي سَمِعتُ رسولَ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- يقولُ: إنَّ أوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمُ، ثُمَّ قال: اكتُبْ، فجَرى في تلك السَّاعةِ بما هو كائنٌ إلى يومِ القِيامةِ، يا بُنَيَّ، إنْ مِتَّ ولستَ على ذلك دَخَلتَ النَّارَ"[9] عياذًا بالله من النار ومن أهلها.

فاحنا عاوزين نذكر بعض الضوابط حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها، ويجي بقى الأسئلة الشيطانية يقولك: الإنسان مسير ولا مخير؟ ده سؤال غلط أصلًا، ده سؤال غلط عامل زي اللي بيقول يعني ايه إما جنة أو نار مينفعش، واخد بالك، للعبد اختيار ومشيئة، وللرب اختيار ومشيئة من فوق مشيئة العبد "وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" التكوير:٢٩، لكن العبد لما بيجي يصلي مش بيصلي باختياره؟ طب هو كان عارف أصلًا قبل ما يصلي إن ربنا مقدر إن هو يصلي؟ أبدًا معرفش إلا لما صلى، هو دلوقتي ماشي في شارع عربية جت ضربته، مكانش عارف إن المصيبة دي هتحصل والنهاية مقدرة عليه إلا لما وقعت فعلًا، فاحنا ليس لنا علم بما أجراه الله لنا من المقادير، ده أمر اسمه: غيب، عالم الغيب، فعَلَامَ ننازع الله -سبحانه وتعالى-؟

ولذلك إبراهيم الحربي -رحمه الله- كان يقول: "أجمع العقلاء من كل الأمم أنه من لم يمشِ مع القدر لم يتهنّ بعيشه" اللي هيقعد ينازع بقى ويخاصم الرب في أقداره، وليه يا رب المصيبة دي حصلت؟ طب فلان ليه اديت له وما ادتليش؟ طب كذا، كل ده حرام، كل ده منافي للتسليم والرضا في هذا الباب.

أصول السير في باب الإيمان بالقدر

فأصول السير في هذا الباب إيه يا إخوانا؟

أول حاجة: إن احنا نعرف أن القدر من صفات الله -سبحانه وتعالى-، ولا يعلم كُنهَ وسر القدر إلا المُقدِّر -سبحانه وتعالى-، ولن يعلم الناس حقيقة القدر إلا يوم القيامة، فمتشغلش بالك وتقدح ذهنك في شيء ممكن الشيطان يستغويك فيه بحيث أن تخاصم الرب -سبحانه وتعالى-.

---

[8] صحيح البخاري
[9] تخريج المسند



أنا شفت واحد للأسف كان من شباب المسلمين وألحد، ألحد! والله رأيته وهو عامل مقطع كده وبيتكلم بيخاصم الرب –سبحانه وتعالى– جهارًا نهارًا، يعني جايب الآية ويقول: "وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" السجدة:١٣، يقوله ليه؟ أنت يا من لا تُذكر في ملكوت الله شيئًا، ده الدنيا تجي باللي حواليا باللي فيها لا تساوي عند الله جناح بعوضة! أنت يا ابن آدم رايح تنازع الرب وتقوله ليه؟! ده خلقه أصلًا! ده صنعته! أنت مالك أنت؟ إيه اللي وداك هناك كده؟ إيه اللي ضلك هذا الضلال! نسأل الله العافية والسلامة.

يبقى أول حاجة عشان نمشي مظبوط في القدر، إن القدر من صفات الرب –سبحانه وتعالى–، ولا يعلم كنهه وسره إلا الله، ولن يعلم الخلق حقيقة القدر إلا يوم القيامة، ده أول حاجة.

الحاجة التانية: أن الأدب مع الرب –سبحانه وتعالى–؛ أنه لا يُسأل عما يفعله في خلقه بل هو الذي يسألهم، قال –تعالى–: "لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ –وهم إيه؟– وَهُمْ يُسْأَلُونَ" الأنبياء:٢٣، فأنت إياك أن تسأل الله –سبحانه وتعالى– لِمَ جعلت فلانًا طويلًا وفلانًا قصير، فلان أبيض وفلان أسود، فلان غني وفلان فقير، فلان صحيح وفلان مريض، فلان عالم وفلان جاهل، فلان يولد له وفلان عقيم، فلان أعطي البنات وغيره أعطي الذكور، دي كلها مقادير، مقادير على حسب علمه وحكمته –سبحانه وتعالى–.

الأمر الثالث: استحالة الظلم وأن يقع منه –سبحانه وتعالى– ولو كان شيئًا يسيرًا يسيرًا يسيرًا، قال الله –تعالى–: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا" النساء:٤٠، يبقى لا يحل للعبد أن يتوهم أن الرب قد ظلم نفرًا من عباده، الكفار والملاحدة وعباد الأوثان وكل من كفر بالله هيدخل النار، يُمكن أن تسمي هذا ظلمًا؟ إذا كان هو خلقه حتى يعبده فذهب يعبد غيره، يدخل الجنة بقى ناس اللي أطاعوا ربنا –سبحانه وتعالى– وآمنوا به؟! "أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ" القلم٣٥:٣٦، ولذلك في الحديث الإلهي القدسي: "يا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا"[١٠].

الأمر الرابع من أصول السير الصحيحة في باب القضاء والقدر: أن العبد مسئول عن تصرفاته من أقوال وأعمال واعتقادات، طالما أنه مكلف وغير مُكره على أن يقول أو يفعل أو يعتقد.

الأمر الخامس: ربط الأسباب بالمسببات؛ بمعنى أن العمل الصالح سبب لدخول الإيه؟ "ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" النحل:٣٢، الباء دي مش باء التمن، يعني العمل الصالح اللي احنا بنعمله صلاة وصوم وزكاة وبر وكذا ده مش تمن الجنة، لا يقوم لها شيء أصلًا، ده مجرد سبب يؤهلنا لأن يرحمنا ربنا فيدخلنا الجنة، واعلموا أنه لن ينجِّي أحدٌ منكم عمله.

الأمر السادس: ضرورة مباشرة الأسباب، فالإيمان بالقدر لا يعارض الأخذ بالأسباب، بل الإعراض عن الأسباب قدح في العقل، اللي عاوز ينجب وهو ميتزوجش قدح في العقل، اللي عاوز الأرض تزرع وهو لم يقم بزرعها وسقيها ومعاهدة هذا الزرع ده قدح في العقل أصلًا، لا يعقله بنو آدم!

والاعتقاد في الأسباب إن طالما أنا ذاكرت لازم أنجح، وجوب أنجح ده قدح في توحيد الإنسان؛ لأن هو ربنا من وراء الأسباب، وهو مسبب الأسباب، النار بتحرق قال الله –عز وجل– لها: "يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا" الأنبياء:٦٩، لو قال بردًا وفقط لتجمد إبراهيم من شدة بردها، لكنه –سبحانه وتعالى– أعلم بخلقه فقال لها: "كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا" يعني لا تؤذيه بهذا البرد، عكس طبيعة النار. يبقى لابد من مباشرة الأسباب، وأن الإيمان بالقدر لا يعارض الأخذ بالأسباب.

الأمر السابع: أنه لا حُجةَ لأحد أن يحتج على الكفر أو الضلال أو المعاصي أو ترك الواجبات بالقدَر السابق؛ لأن دي حجة إبليس وحجة المشركين، "قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي" الأعراف:١٦، والمشركين قالوا: "لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ" النحل:٣٥، "وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم" الزخرف:٢٠، كل دي حجج باطلة، أومال إيه اللي يحصل؟ القدر امتى يُحتج به؟ في المصايب، يعني أنت ماشي وجت عربية شالتك

---

[١٠] صحيح مسلم



من على الأرض ضلوعك اتكسرت، ايديك رجليك، حصل أي عاهة عندك، مفيش حد يجي يحتج عليك ويقولك أنت ليه مشيت من الشارع ده، أو ليه مخدتش بالك أو ليه ماستنتش لما العربية تعدي، هو خلاص هي مصيبة ووقعت، مصيبة وقعت، فيحتج بالقدر في المصائب، لما حد يلومك مخدتش بالك من الفلوس ليه لما سبت اللص يسرقها، خلاص هي مصيبة وحصلت، هنقول قدر الله وما شاء إيه؟ وما شاء فعل.

إذًا الأصول السبعة دي هي التي ينبغي علينا أن نأخذ بها حتى نسير سيرًا حسنا في هذا الباب.

أصول القدر

فاحنا قولنا إن أصول القدر الأربعة:

أول أصل: الإيمان بعلم الله الشامل المحيط، وعلم ربنا –سبحانه وتعالى– يشمل:

ما كان في الماضي، لما فرعون قال لموسى –عليه السلام–: "قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى" طه٥١:٥٢.

وعلم الحاضر؛ اللي هي اللحظة الآنية التي نعيشها اللي هتبقى ماضي بعد شوية، فهو –سبحانه وتعالى– يعلم الماضي ويعلم الحاضر.

ويعلم المستقبل؛ اللي هو علم الغيب، "إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ" لقمان:٣٤.

ويعلم –سبحانه وتعالى– ما لم يكن لو كان كيف يكون، اللي هو علم المستحيل أصلًا، طب ده مثاله إيه؟ مثاله قول الله –عز وجل– عن أهل النفاق: "لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ" التوبة:٤٧، طب هم المنافقين خرجوا مع الرسول في تبوك؟ ما خرجوش، ومع ذلك ربنا أخبر إن لو ده حصل هيبقى هذا الحدث.

طيب مثال تاني من الكتاب العزيز قوله –عز وجل–: "وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا –للدنيا مرة أخرى– لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ" الأنعام٢٧:٢٨، وإنهم إيه؟ "لَكَاذِبُونَ"، يبقى عِلمه –سبحانه وتعالى– بما لم يكن لو كان كيف يكون، لما ربنا –سبحانه وتعالى– أخبر إن الغلام الذي قتله الخضر –عليه السلام– لو عاش لعاش كافرًا ولأشقى أبويه، ولكن قدَّر –سبحانه وتعالى– إن الخضر يقتله وهو صغير ويُبدلهما –سبحانه تعالى– خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا.

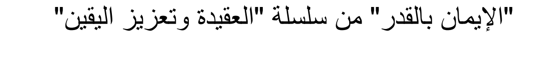
والأصل الثاني: إن ربنا كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ زي ما ذكرنا وما يتبعها من الكتابات الأخرى؛ الكتابة العمرية للإنسان، الكتابة السنوية لمقادير الخلائق، الكتابة اليومية التي تنزل المقادير على أساسها.

وكذلك أيضًا الركن الثالث: أن نؤمن بمشيئة الله –عز وجل– النافذة؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يكون في هذا الكون حركة، ولا سكون، ولا خير، ولا شر، ولا إيمان، ولا كفر، ولا طاعة، ولا معصية إلا بمشيئته –تعالى– "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" يس:٨٢.

والمعروف إن إرادة ربنا –سبحانه وتعالى– بتنقسم إلى قسمين:

١–قسم بمعنى المشيئة، ودي لا رادَّ لها.

٢–وقسم بمعنى المحبة، "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ" البقرة:١٨٥، فدي اسمها المشيئة الشرعية دي ممكن تقع وممكن لا تقع.




فربنا أمر بالصلاة ويحب المصلي، ويحب المزكين، هل كل الناس بتصلي؟ هل كل الناس بتزكي؟ بيكره -سبحانه وتعالى- الفسق والفجور والعصيان، هل كل الناس بتبتعد عن هذا؟ لأ فدي اسمها إرادة إيه؟ إرادة شرعية، دي ممكن تقع في حق الطائعين ولا تقع في حق المخالفين، أما المشيئة دي لابد أنها تقع، لابد أنها إيه؟ تقع، منها بقى مشيئة الهدى والضلال، مشيئة الحياة والموت، مشيئة الأرزاق، كل ده في مشيئته -سبحانه وتعالى-.

الركن الرابع: زي ما قلنا الإيمان بأن الله خلق كل شيء، خلق كل شيء؛ الخير والشر، والكفر والإيمان، كل ده خلقه -سبحانه وتعالى-، وفيه بعض الناس يقولك طب ربنا -سبحانه وتعالى- خلق الشر ليه؟ ما كان يخلي الناس كلها طيبين، والناس كلها تدخل الجنة! ده بخلاف حكمته -سبحانه وتعالى-، بخلاف حكمته -عز وجل-؛ لأن لولا الكفر ما ظهر فضل الإيمان وأهل الإيمان، ولولا وجود الشر ما ظهر فضل الخيرين الطائعين لله -سبحانه وتعالى-، زي ما قلنا إن الإنسان لا يُدخِل عقله فيما لا ينبغي أن يدخل فيه؛ لأن هذا يضر به غاية الضرر، ولازم نعرف أن وجود الشر ده له حِكَم ويترتب عليه مصالح، فالكفار دول لو مكانوش موجودين كان المسلم هيجاهد مين؟ الشيطان ده لولا أن الله سلَّطه على إغواء بني آدم كان هيظهر فضل المؤمن المجاهد لشيطانه ونفسه وهواه وأعداء الله، كل هذه الأمور معروف إن الحياة كلها ابتلاءات "وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ" الأنبياء:٣٥.

لا شك أن السير الحسن في هذا الباب بيورث الإنسان راحة في القلب، وزيادة في الإيمان، ولا يزداد الإنسان بهذا السير إلا قربًا من الله -سبحانه وتعالى-.

ثمرات الإيمان بقضاء الله -عز وجل- وقدره، وكيف نزكي أنفسنا بهذه العقيدة؟

إذا صح الإيمان للعبد صحت التزكية، والإيمان لا يصح إلا بالإيمان بالقدر، أنه إذا أيقن العبد أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، حينئذ يقطع العبد المؤمن بقضاء الله وقدره أن الأمر كله لله، وأنه لن يضره أحد إلا بإذن الله، ولن ينفعه أحد إلا بإذن الله، واحنا ذكرنا حديث ابن عباس وتوصية النبي -صلى الله عليه وسلم- له المفصلة: "يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ.." إلى آخر الحديث، فيبدأ العبد يتوجه بقلبه ولسانه وجوارحه لمن بيده الأمر -سبحانه وتعالى-.

محتاج مال؟ يطلب من الذي خزائنه ملأى لا تنفذ.

محتاج هداية؟ يطلب من بيده الهداية يهدي من يشاء -سبحانه وتعالى-.

محتاج ينتصر؟ يطلب من القوي أن ينصره.

خايف من الشيطان، خايف من فتنة الدنيا، أي أحد يخافه من دون الله يفزع إلى الله -سبحانه وتعالى- ليحميه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم خلاص؛ لأن ده خلق من خلق الله، وهو وحده الذي يكفي العبد إذا استعاذ به ولجأ إلى حمى المولى -سبحانه تعالى-.

وأكثر ما يقلق ابن آدم حاجتين:

١-الحاجة الأولى: الأجل؛ إن هو دايمًا خايف على عمره، خايف على عمره، عنده هاجس امتى هموت؟ وازاي هموت؟ وتلاقيه إذا مرض شوية يطلع جري على الدكاترة والحق أحسن أموت وهكذا، بياخد بوسائل الأمان ما استطاع، بيركب عربيات معينة، وسائل حماية معينة، طفايات الحريق، كل دي أشياء بتحيط بحياة الإنسان، وفيه ناس طبعًا بتخرج عن الشريعة تروح تعمل مثلًا وثائق تأمين وما إليه، تأمين على الحياة! هو المال اللي أنت بتدفعه ده وهيستمتع به من بعدك أنت هتعذب به؛ لأن ده لا يحل لك، معاملة لا تحل، فالعبد بيخاف على الأجل.



٢–وبيخاف على الرزق أيضًا، بيخاف على الرزق، فإذا أيقن العبد أن الله –عز وجل– وحده هو المحيي المميت، وأنه –عز وجل– هو الرزاق ذو القوة المتين، هيرتاح ويهدى ويعرف إن هو لا هيموت قبل ميعاده ولن يتأخر بعد موعده، "فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ" الأعراف:٣٤، ويعلم "وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ –وما إيه؟– وَمَا تُوعَدُونَ" الذاريات:٢٢، فهيبدأ يرتاح؛ ولذلك قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّ رُوحَ القُدُسِ نفثَ في رُوعِي –اللي هو جبريل عليه السلام– أنَّ نفسًا لَن تموتَ حتَّى تستكمِلَ أجلَها، وتستوعِبَ رزقَها"[11]

وأيضًا أن الإيمان بالقدر: بيثبت العبد عند المصائب؛ أما يموت له الوالد أو الوالدة أو ابن أو زوجة أو عمة أو خال أو صديق وخِل وفي مصيبة بتحصل للإنسان، أو فقد مال أو أن يُحبس الإنسان ظلمًا، أي مصيبة في البدن أو في المال أو في الأهل، ده لا مفزع له إلا إلى الله –سبحانه وتعالى–: "الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ" البقرة١٥٦:١٥٧، "مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ" التغابن:١١، يعلم أنها من الله هو اللي قدرها، فيرضى ويسلم العبد، فيرضى ويسلِّم، ولذلك كان بعض السلف يقول: "لولا مصائب الدنيا لوردنا يوم القيامة مفاليس" ده المصائب دي بتجيب للناس حسنات كثيرة بشرط إن هم يصبروا؛ "إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى"[12] كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–، و "إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ" الزمر:١٠.

وكذلك الإيمان بالقدر: بينفي عن قلب صاحبه آفة الحسد؛ اللي هي آفة إبليس عياذًا بالله؛ لأن الحاسد ده زي ما هو بيؤذي خلق الله بإذن الله هو بيؤذي نفسه؛ لأن بيبقى فيه جمرة مشتعلة ليه فلان أحسن مني؟ ليه فلان معاه مال عني؟ معاه منصب عني؟ أولاده أحسن من أولادي؟ لابس لبس أحسن مني؟ عربيته أحسن من عربيتي؟ بيته أحسن من بيتي؟ هكذا، فبتنفي عنه الحسد لأنه بيرضى ويسلِّم، قال الله –تعالى– عن شر خلقه من اليهود "أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ" النساء:٥٤، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– للمسلمين: "انْظُرُوا إلى مَن –هو– أسْفَلَ مِنكُمْ، ولا تَنْظُرُوا إلى مَن هو فَوْقَكُمْ، فَهو أجْدَرُ أنْ لا تَزْدَرُوا –يعني تنتقصوا وتحتقروا– نِعْمَةَ اللَّهِ –عليكم–"[13].

كذلك الإيمان بالقدر: يجعل العبد يتواضع لربه –سبحانه وتعالى–، إن أصابه بنعمة علم "وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ" النحل:٥٣، وشوف الرسول –عليه الصلاة والسلام– لما دخل مكة وفتحها بإذن الله كان مطأطئ الرأس حتى يكاد رأسه –عليه الصلاة والسلام– أن يمس الرحل؛ من شدة تواضعه لله –سبحانه وتعالى– على هذه النعمة.

الإيمان بالقدر: بيخوِّف العبد من سوء الخاتمة، فدايمًا يجتهد إن هو يبقى على عمل صالح حتى إذا جاءه الموت فُجاءة كان مستعدًا للقاء الله –سبحانه وتعالى–.

طبعًا فيه ناس بتقول أقوال شنيعة عياذًا بالله في باب القدر؛ منها مثلًا الرجل الشاعر المجرم الذي أراد أن يمدح الخليفة العبيدي الحاكم بأمر الله يقول له:

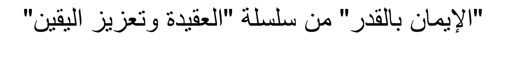
ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحكُمْ فأنتَ الواحد القهّارُ

---

[11] صحيح الجامع

[12] صحيح البخاري

[13] صحيح مسلم





فماذا ترك لله؟ هذا الفاجر

وقول الآخر:

إِذا الشَّـعْبُ يومًا أرادَ الحياةَ   فلا بدّ أنْ يَسْـتَجيبَ القدرْ

هو الشعب إله؟ ده مجموعة من الناس، خلق من خلق اللَّه! واحد بقى رد عليه فقال مصححًا البيت:

إِذا الشَّعْبُ يومًا أرادَ الحياةَ   فإن شــاء ربي أجاب القدرْ

وقول الثالث:

قــدر أحمــق الخــطــى   ســـحقت هـامتي خطـاه

وأقول من الكلمات السيئة: سخرية القدر، عبث القدر، ظلم القدر، لعبة القدر، كل هذا لا يليق؛ لأن احنا قلنا القدر قدرة الله –سبحانه وتعالى–.

ورضيِّ الله عن الإمام الشافعي حين قال:

دَعِ الأَيّامَ تَفعَلُ ما تَشـــاءُ   وَطِب نَفسًا إِذا حَكَمَ القَضاءُ

وَلا تَجزَع لِحادِثَـةِ اللَيـالي   فَمـا لِحَوادِثِ الـدُنيا بَقـاءُ

وَكُن رَجُلاً عَلى الأَهوالِ جَلدًا   وَشـيمَتُكَ السَـماحَةُ والوفاءُ

نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يوفقنا وإياكم إلى ما يحب ويرضى، وقد وصلنا بحمد الله –عز وجل– إلى تمام الركن السادس من أركان الإيمان؛ ألا وهو الإيمان بالقدر، وإن شاء الله –عز وجل– يبقى معنا لقاءين نتحدث فيهما عن القضايا المحيطة بهذه الأصول، أو الأمور التي ضل بسببها أناس بحيث نستوفي هذه الحلقات الثمان التي اتفقنا عليها سلفًا، نسأل الله أن يتم لنا ولكم هذه الرحلة بخير، وأن تكون نافعة لنا جميعًا في الدنيا، وأن نجد أثرها وغِبَّها في قلوبنا وفي جوارحنا، ونجد ثوابها عند من لا يضيع عنده الثواب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وإلى أن نلتقي نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يوفقنا وإياكم إلى الأعمال الصالحات، وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، ودمتم في أمان الله ورعايته وحفظه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.